٨ر٩٥٦

ن.س نشأة الامارة في شرق الاردن ، تأليف سامي السراج .
بخط المؤلف في القرن الرابع عشر الهجري .
٣٠ ق ٢٤ س ٢٤٫٥×١٦٫٥سم
٣٢٧٠ ز نسخة حسنة ، خطها رقعة .
١- تاريخ الاردن أ- سامي السراج (٢) بد الناسخ
ح- تاريخ النسخ .

من انفاس التاريخ : نشأة الإمارة في شرق الأردن

فصول متتابعة نشرتها جريدة القبس الدمشقية وقدمتها للقراء بالكلمة التالية :

بقلم سامي

~~من انفاس التاريخ — ١~~

العدد ٣٣٠٩ جريدة القبس (دمشق) في ٢٣ يناير سنة ١٩٤٧

ع ١٧٨٠٦
١٤٢٩ - ١٤ هـ

~~نشأة الامارة في شرق الاردن~~

~~من صميم موضوعها واساسها~~

مذكرات هامة بقلم مجاهد وطني من طبقة كتابنا البارزين ، ساير قضايانا العربية منذ فجرها ورافق ادوارها واطوارها ، وكان احد العصبة الوطنية التي التحق افرادها بحركة شرق الاردن في مطالعها وشغل منصبا كبيرا في حكومتها ، كما كان سكرتيرا لحزب الاستقلال العربي المعروف بمواقفه التاريخية . هذا الحزب الذي قاوم تسرب النفوذ الاجنبي الى تلك المنطقة اربع سنوات كاملة ووطد اساس حكم وطني ، كان نموذجا للكفاءة الوطنية في حكم الذات لولا ان استعان الاجنبي على الوطنيين باعوانه هناك فاقصاهم عن بلاد الامارة ، وبذلك غدت هذه البلاد منذ سنة ١٩٢٤ ، تحت النفوذ الاجنبي المطلق ، يسودها اعوانه وصنائعه ، والاجنبي من ورائهم محيط ..

ويجد القراء في هذه المذكرات التي سننشر فصولها تباعا والتي تفضل صاحبها فخص بها " القبس " نسقا ممتازاً في تحليل الحوادث على ما يرضي امانة التاريخ ، ويجعل الاعتبار الاول لواجبه ، الذي يتعين ان يلتزمه كل مدون للحوادث .

و " القبس " تلفت الأنظار لهذه الفصول من مذكرات الكاتب الكبير . وستبدأ بنشرها اعتبارا من هذا العدد مرتين في كل اسبوع ، ولاشك ان قراء " القبس " سيجدون فيها متعة تاريخية تلذ مطالعتها اذ تكشف لهم كثيرا من الحقائق الخافية وفيما يلي اول فصولها .

ح

محو الحوادث :

كانت ميسلون السبب الاول لتدافع الحوادث بعد ان قضت قضاءها الباتّ بزوال الدولة العربية في دمشق، وكانت الى جانب حكومة المغفور له الحسين بن علي في الحجاز حلقة ثانية لحكم عربي صافٍ حرم منه العرب نيفاً واربعة قرون بداية دانت بلادهم للحكم العثماني. وقد عاشت الدولة العربية في دمشق منذ سلخ سبتمبر سنة ١٩١٨ الى ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٠ اثنين وعشرين شهراً كأنها عشرون عاماً بحساب ما وقع في ربوعها وفي جوّ احزابها وصحافتها ووزاراتها وقصر اميرها ثم مليكها فيصل الاول بن الحسين من احداث وتطورات لو التقطها شريط سينمائي سريع لاعجزه ضبط تدافع هذه الحوادث لما اكتنف هذه الدولة الصغيرة من زحمة المفاجآت وهي في الدور البدائي من مراحل الحياة

نشبت معركة ميسلون بين فصائل الشام من نظاميين ومجاهدين وبين كتائب جيش الجنرال غورو فانتهت الى ما تنتهي اليه عادة اية حرب يشنها قادر قوي العدد متوافر المدد على ضعيف لم يؤت له ان يكمل اهبته للقاء المغير ولا يعينه في حاضره غير قوة الحق وقوة الايمان وانهما لشيئان نورانيان لا تدفعان فولاذاً ولا تفلان حديداً في اول لقاء!

وآلت حرب ميسلون التي انتصر فيها العدو نصراً اقرب الى الهزيمة — الى احتلال جيش الجنرال غورو العاصمة دمشق، واحتلال جيش الجنرال دي لاموط مدينة حلب. ثم شاء جبروت الفاتح الثمل بانتصاره المادي ان يغادر صاحب التاج قاعدة ملكه الى درعا ثم الى حيفا وان يتفرق عنه بكره من رجال حاشيته ومن احرار البلاد سوريين وعراقيين ولبنانيين وحجازيين وراء الحدود ومعظمهم من رجال حركة الدفاع وزعماء العصابات وقادة الرأي اذ ابوا ان تسلم البلاد جبلاً للعدو فتخضع لشروطه دون كفاح شريف يراق فيه الدم ذياداً عن الحمى

جرى هذا خلال الايام العشرة الباقية من شهر يوليو ١٩٢٠ وصدرت على اعقابه احكام الاعدام على جملة من الاحرار. بينهم شكري القوتلي وابراهيم هنانو وعادل ارسلان واحمد مريود وجعفر العسكري ورياض الصلح وسامي السراج وفؤاد سليم وكامل القصاب وخير الدين الزركلي واحمد قدري ونبيه العظمة ورشيد طليع واسعد [illegible] وسعيد حيدر وادهم خنجر وجميل المدفعي وصبحي بركات ومحمود الفاعور وحمزة دروبة وعوني عبد الهادي وآخرون بلغ عددهم ٢٧ شخصاً واحكام اخرى بمصادرة اموال وانزال عقوبات فيمن ناصروا حركات الدفاع ضد مستعبدي البلاد وقاموا بأعمال وطنية.

وكانت في نظر فرنسا ام الحرية اعمالاً تستحق اقسى العقوبات ...

فكان حتماً مقضياً على هؤلاء الاحرار ان يتفرقوا تحت كواكب السماء، مفروطي السبحة منثوري العقد فمنهم من نزح الى مكة او لجأ الى القاهرة او استقر في مدن سورية الجنوبية "فلسطين" او دلف الى مدن الغرب، بينما رزحت البلاد تحت احتلال عسكري بالغ الجبروت اذ اعقبته فرنسة بلاداً رخصت فيه "الاحتلال الفني" واساءت فهم اغراض الانتداب وهو انما جاء ليفيض على سورية عوارف الخير وأخلاف الرزق ويمنع المذابح بين اهل المذاهب والملل ... وقد كان من طوالع سعده ولوامع خيره ان اكتظت السجون بالابرياء واحتبست الانفاس في الحناجر وعبث الجند بالقرى والدساكر وفرضت السلطة اتاوات وغرامات وتبادراً واسترعت انظمة وقوانين تحد من حرية الفرد وحرية الجماعات ووضعت قواعد للافتقار سورية افتقاراً لا تقوى معه على النهوض بايه حركة جموح او سعي الى تحرر من تلك النعم الضافية .... فكان هذا الافتئات الذي ابتليت به سورية اول بواكير الخير الموعود واول مكذب لسوء ظنون الاحرار في دولة الانتداب قبل ان تقع الاحتلال ...

وانما سردت حوادث ميسلون وما تلاها للاستطراد الى دوافع التفكير التي آلت الى خلق امارة الاردن، هذه الامارة التي لم يكن لها في مخيلة العرب وجود. وكان الغرض من ايجادها بعث حركة انقاذية وراء حدود سورية المحتلة لا تنالها من جانحة الكرب الجاثم فوق صدرها وليس انشاء امارة في الاردن او اقامة حكومة جديدة تحت اي اسم من الاسماء، الا انتزاعاً لمنطقة الاردن تابعة لمملكة الحجاز وقاعدة لاعمال تحرير سورية الذبيح من غائلة الانتداب البغيض. لولا ان تغيرت الحركة انتقلت بعدئذ من ماهيتها الاصلية الى ماهية اخرى ما دارت ببال الذين سعوا في بعثها ونسجوا خيوطها الاولى او وضعوا تصميمها! ولكن الشذوذ فعل فعله فأحال الحركة من "قومية وطنية منقذة" الى "اداة سياسية منفذة" فيها من الخير قليل ومن نقيضه كثير، مما سيراه القارئ في سياق الحوادث التي نبدؤها بكشف السبب الاول لحمل جلالة الحسين على انجاد قوة حجازية متحركة الى معان تحقيقاً للغايات التي بسطنا خطوطها فيما تقدم، وتلك الحملة التي يسر لها القدر ان تكون تحت امرة النجل الثاني للملك الحسين وهو سمو الامير عبدالله وزير خارجية الحجاز فامير الاردن فملكه الحالي

والحقيقة التي اشرت اليها وقد جهلها كثيرون من متتبعي نشاط الحركات العربية بل من مؤرخيها او واضعي المذكرات عن حوادثها — هذه الحقيقة تتصل برجل من ألمع رجالاتنا فكراً واصدقهم صحافة واقومهم رأياً. وهو الذي عرف بين الخواص والعوام بلقب امير السيف والقلم وكنا خلال الحرب [illegible]

لا نستطيع البوح باسمه عندما نذكره في صحف مصر فكنا نرمز اليه بحرف " ع " ونعني به الادنى (الجبل) عادل ارسلان الذي كانت حياته سلسلة مشرقة من وطنية صامدة واعية وصبر على المكاره وعزوف عن الصغائر وازورار عن المنافع . وقد كان له في صفوفنا نحن اخوانه مثل الصدارة التي كانت لابراهيم هنانو وشكري القوتلي واندادهما

لقد كان للامير عادل الاثر الاول في بعث حملة الحجاز الى الاردن . الحملة التي غادرت مكة في نوفمبر من عام ١٩٢٠ على هدى اطيب الغايات تحث الخطى الى لقاء الجموعة السورية التي تجمعت في معان لقاء الغلول الشام عبد طريد الركب الصعب الذي تواضع الدار الاسم على انه اشمل الطرق لتقويه الاستقلال وهو القتال والنزال !

وكان الوضع بعد نكبة ميسلون هو كما يلي : الشام بعاصمته ومدائنه الثلاث الاخرى وملحقاتها محتل من قبل جيش فرنسا . والقسم الجنوب السوري " فلسطين " يهيمن عليه الانكليز وتتنازع عليه المطامع الصهيونية وقد جعلت حدود حلمها في انشاء الوطن القومي نهر النيل غربا ونهر الفرات شمالا وشرقا . وهناك منطقة رحبة الجوانب عربية تمتد من درعا الى معان ومن نهر الشريعة الى الصحراء الواسعة نجت من احتلال الانتدابين وكان يديرها موظفون من قبل الدولة الفيصلية ولا يزال امرها مائعا . وكانت بريطانيا على احتراس من ان تتقدم اليها وكل سكانها من حملة السلاح وخواضي الحروب . اذن ليس ثمة ما يمنع دولة الحجاز العربية ان تتدارك هذه المنطقة باحتلال عربي يقابله الاهلون بالرضى والارتياح فيقيها عوادي الانتدابين الجائرين ولعلها تكون النواة التي تلقى في ارض الحصن الباقية فتنبثق عنها شجرة استقلال يترعرع فيظلل الجزيرة الاقربين . فوجه صلاح هذه المنطقة تكوين مركز التجمع للزحف نحو الشمال او للاقلاق ومضاجع الفرنسيين وتكبيدهم خسائر ترى على ما يجنون من مغانم الانتداب . ويزيد في اهمية هذه المنطقة ان معاقلها منيعة وتصاقب حوران وجبل الدروز وتحمي اذرعها الصحراء الجرداء التي طالما كانت مقبرة الغزاة الاغراب في مطاوي التاريخ

كان من اصالة الرأى اذن ، وضع اليد العربية على هذه المنطقة السورية الاصل في حملة تستند الى انقاذها من مقدور احد احتلالين اجنبيين قد يحتلها اذا غفل العرب عنها ولم يهتبلوا الفرصة السانحة

بهذا اوحى الرأي السديد الى صديقنا الامير عادل وكان نزيل احدى مدن اوروبة الشمالية فامتدت يده الى القلم وراح يكتب الى الملك الحسين مبينا مبررات الفكرة ومسوغات دوافعها، خصوصا وان عصابات القائد التركي مصطفى كمال قد وثبت عودها في الشمال وقد يكون له ضغط في نفسه على الحدود من اي جهة [illegible] عظم الفائدة للدولتين الشرقيتين

من الفارس التاريخي ٩ — القاهرة حسين

<u>بين امير وامير</u> :

القى الكتاب الذي ارسله الامير عادل ارسلان الى جلالة الحسين اثره في نفسه فعجم العود انجاله ليختار للحركة الجديدة اسدهم سهما واشدهم نضالا. اذ كان لابد من اختيار احد الامراء لقيادة حركة ينتظر ان يتقد بشعلتها ابرز قواد الشام واشهر الزعماء الوطنيين. ومثل هذا الطراز لابد له من قائد رفيع المنزلة يذهب بما قد يحدث بينهم او بين زعماء العشائر والمقاطعات من تنافس، بارتفاع طبقته عن طبقاتهم. فكان لزاما ان يقع اختيار الملك الحسين على احد نجليه، عبدالله وزيد. وكان الملك فيصل ما يبرح مقيما في مدينة كومو من ايطاليا يحاول العبور الى لندن ليبسط ظلامته ونقد الجنرال غورو طامعا في ان يسترد عرشه عن طريق السياسة لا عن طريق الحرب. وسيجد القارئ تفصيلات ذلك منشورة في غير هذا المكان. وكان بديهيا ان من يقع اختيار الحسين عليه من الامراء، هذا الملك الاكبر الذي ارتضاه العرب في الحجاز عميد من نهضتهم ورمز وحدتهم سيعتبر نائبه ومثل هيبته، وبذلك تمضي الحركة على نظام رتيب وحسن انقياد !

ولن يفوتني ان اقيد هنا حقيقة من حقائق تلك الفترة، فقد كان الامير زيد بن الحسين احب الامراء الهاشميين الى رجالات الشام ويلي فيصلا في المكانة. لما اتصف به من بسالة وحماسة وتمسك بالمطالب الوطنية وتجنب للمراوغة السياسية. وقد كان في عهد الثورة الكبرى وايام دولة الشام العربية في طليعة رواد الآمال الواسعة، وكانت له في ثورات البقاع والعليب ودرعا مواقف محترمة زادت مكانته وضاعفت الثقة فيه. اما شقيقه الامير عبدالله فلم يكن له في تلك الحقبة مثل هذه الميزة ولم يكن له اتصال ما باقطاب الحركة الوطنية في الشام فلا يعرفون عنه الا الطرائف مما يتداوله بعض الضباط العراقيين وكان هذا غير كاف لرسم صورة واضحة عن سموه في اذهانهم. اذ كانت اقوال الرواة مزيجا من [illegible]

رأى يجده اميرا شديد الحزم سديد الرأي واضح الشخصية ، ورأى يصفه مفرطا في الاناة مسرفا في اللين والاعتدال والدعة . كان هذا التباين في نوعي الوصف يظهره الى الناس بين رجل ثورة توافرت له مؤهلات القائد المطاع والآمر المهاب والثائر الجباع ، وبين رجل دولة كيّس ، متحل بالكياسة والظرف والايناس كرجل صالون من ارفع طراز .... وما هي بما بين الوصفين من تناقض ~~[illegible]~~ وافتراق

كانت هاتان الصورتان المتباينتان تطغى على اذهان الشعب فتحولان دون ارتياحهم الى اختياره قائدا للحركة . بعكس الامير زيد فقد كان الرأي متفقا على صلاحه للقيادة . ويذهب في الصراحة الى ابعد من هذا فيقول: لو ان الرأي في انتقاء القائد كان للوطنيين لانصرف الى الامير زيد اختيارهم ولانصب عليه اجماعهم . وكان لهذا سابقة تؤكده . فقد اجتمع قبل ثلاثة اشهر من هذه الحوادث رهط من الشاميين في القريا الشمالي من جبل الدروز وكان هذا عقب حادثة ميسلون بايام قليلة . وكان سلطان باشا الاطرش ما يزال مرابطا في " القريّة " يحتفظ بمن لديه من جموع المقاتلين وقد نزحت الى الجبل الاشم قافلة من المجاهدين السوريين مؤلفة من رشيد طليع ونبيه العظمة وسامي السراج وحسيب ظبيان وشكيب وهاب ومحمد صعب وسعيد لحم وآخرين من رجال العصابات الوطنية . فلما التأم شمل هؤلاء جميعا قرروا استئناف القتال مع الفرنسيين بحث عنهم من دولة الدروز واستقدام الامير زيد بن الحسين ليرأس باسم اخيه الملك فيصل ، الدولة العربية السورية التي ازمعوا انشاءها في الجبل لتحل محل دولة دمشق المنقضية ، وبذلك يقود بنفسه الجيش الوطني المحارب قائدا عاما يذعن لامره القواد والرؤساء . واذن فقد كان الامير زيد في عرفهم خليقا بان يتولى قيادة حملة معان فيقابل اختياره لها برضى وارتياح

ولست ابغي مفاضلة بين الشقيقين بتمييز اصغرهما عن الاكبر في القيمة الشخصية معاذ القصد حتى ان اقصد الى هذا . وما مرادي الا القاء ضياء نيّر والنفاذ صحيح للحقائق دون تحيز لزيد او عبيد ... وقد كان لكليهما عند قومه مقام اثير وان اختلفت شخصيتاهما في الوضوح . وبخاصة ان الكثيرين لم يتوقع احد ان يجنح الى ما جنح اليه في الايام التالية من تحول من الحرب الى السياسة

فاما وقد وقع اختيار الحسين على نجله عبدالله قائدا لحملة معان فانتضاه حساما مشهرا في وجه فرنسة ، وامد حملته بجانب من الرجال والعتاد لم نكن ندري مقدارها وكنه تشكيلاتها —

لقد تقبل الوطنيون السوريون الامر الواقع بارتياح. اذ وجدوا في حملة الامير شيئا يخرجهم من ركود الى حركة ومن سبات الى يقظة، فكانوا ان يضعوا بين يديه طاعة قلوبهم وتضحية ارواحهم وبسالة عزائمهم وقد اطمأنوا الى ما رواه كرام الاخوان السوريين نقلا عن الامير اذ قال لهم في معرض ذكرى ميسلون «آه لو كنت صاحبكم» اشارة الى انه لو كان مكان فيصل في تلك الحوادث لعالجها بما من حنكتها ... وقد اظهرت هذه القولة ان الرجل على شيء كثير من معاني الرجولة وبعث النخوة. بالاضافة الى ما كانوا عليه من ظمأ الى انبعاث اية حركة تجدد فيها القوة وتثير في البلاد السورية جيشان الكفاح فقد حفظ مزاعم المحتلين الذين اذاعوا في عرض الدنيا وطولها ان سورية راضية عن الاحتلال الفرنسي وناعمة بعوارف خيره، وانها استقبلت جيش غورو بالورد والرياحين. ذلك الارجاف الذي انطوى على ابشع صنوف الاذى والبهتان

لذلك رحب الوطنيون السوريون بحملة عمان وباميرها عبدالله بن الحسين ترحيبا صادقا فاخذوا يرعون من كل صوب وحدب منضمين الى لوائه، سواء من كانوا في اوروبة او مدينة فلسطين او القاهرة ومكة او الذين كانوا مختفين في جبل الدروز فتوافدت مراسيلهم آحادا وجماعات. ولم يكن يسيرا ما تحملوا من مشاق في الوصول الى معسكر الامير بعمان اذ كانت المعابر والمسالك في ايدي عمال الاحتلالين الانكليزي والفرنسي، لا يستطيع ان يتخطاها الا من احتال وحذق فن الاحتيال!

وسيرى القارئ في الفصول الآتية من كانوا رسل الدعوة الى هذه الحركة، الطيبة الطوالع، المريرة الخواتيم، وما قاموا به لنشر مبادئها واثبات دعائمها، ليقارن بين جهودهم وما لقوا بعد ذلك من عقوق ونكران ممن عقدوا عليه اطيب الآمال.

القاهرة   [illegible]

وكان من يحل مكة للتبشير بالحملة واشاعة فكرتها ودعوة الاخوان الوطنيين الى الالتفاف حولها الاخ خير الدين الزركلي شاعر الاستقلال غير مدافع، والاخ يوسف يسن. وكانا يقيمان بمكة ضيفين على الملك حسين. وقد كان السيد الزركلي في القاهرة قبل ثلاثة اشهر ثم دعي الى مكة بطلب من الملك فلبى الطلب ولعل اهتمام الحسين بامره علمه ان شاعرنا الكبير عارض فكرة تتويج فيصل ملكا على دمشق مخافة تعدد التيجان في البلاد العربية ثم اضعف عرى الرابطة لوحدة الجزيرة في تاج واحد. وعلى صدى هذا الاباء نظم السيد الزركلي قصيدته المشهورة التي مطلعها :

لا التاج ينفعه ولا استقلاله   حتى يكل رئاسة وعقاله

ويلوح ان القضية فعلت في نفس الملك الحسين فعلها فطرب لها واحسن تقديرها فما ان اتصل به وصوله الى القاهرة حتى انفذ يستدعيه ليستبقيه فودعنا عشية ٢١ سبتمبر سنة ٩٢٠ راحلا الى مكة حيث نزل عند بنيه آل هاشم منزل الكرامة وكان لا ينفك طوال ايام اقامته يذكي في الملك والامراء والاشراف روح الوثبة لفك عقال البلد المظلوم وكان لا يقيم عنه كتاب الامير عادل ارسلان نحيه شيئا فتلاقت فكرتاهما عند منهج واحد، يوحي من وطنيتها الصافية

ولما اختمرت الفكرة في ذهن الحسين وامر بانفاذ حملة معان تحت قيادة نجله الامير عبدالله سنحت الفرصة للزركلي للافلات من حبائلتين ضاق بهما ذرعا: الاولى ركود الحركات الوطنية حول دمشق والثانية البلاد التي يقيم في مكانه تسوده عقلية القرون الرابع. فخف الى مصر مصحوبا بصديقه يوسف يسن فالتقينا معا في ضاحية مصر الجديدة وشرعنا نحن الثلاثة نكتب الى اخواننا المتفرقين في شتى الديار و الاقطار، ندعوهم في استبشار غامر الى وثبة عربية ثم نقررها وننضج تدبيرها وكنا نعلم جميع تعطش الاخوان الى مثلها كرجال ما تطامنوا الى قعود ولا سكنوا الى ركود. فما ان اتصل بهؤلاء نبأ الحركة حتى ذموا الرحال واخترقوا الابعاد قاصدين الى معان. وما انتصف شهر ديسمبر سنة ٩٢٠ حتى غص معسكر الامير بالسادة النجب من رجال الاستقلال ورؤساء الشبان وكماة الحرب تتطاير شوقا للقتال ولئن سألت عن طائفة من تلاحقوا الى معسكر الامير من الرجال فاعلم ان منهم السادة رشيد طليع والامير عادل ارسلان وعوني عبد الهادي واحمد التميمي والشيخ عوده ابو تايه واحمد مريود ونبيه العظمة وفؤاد سليم وصبحي الخضرة ورمضان شلاش وخير الدين الزركلي وسامي السراج وسعيد العاص واحمد خنفر وغالب الشعلان وشوكت العائدي وسعيد عمون وعدد من رجال عصابات تل كلخ والبقاع وجبل الشوف منهم من جاء على صافنات الصحراء ومن انحدر من معاقل جبل حوران ومن هرع من مدن فلسطين وسورية الداخلية ومصر، وكلهم حريص على ان لا يفوتهم شرف الاشتراك في عراك يؤمل ان يؤدي

٩

الى تقصير الاحتلال الفرنسي في الشام وانهيار البلاد من وحدة النزاع والاستقلال، وما منهم الا من طرب للنزال، طرب النشوان مالت به الخمر !

اين الميدان :

طال انتظار الامير في عمان بعد ان اناخ قلوصه فيها يوم ٢١ نوفمبر ٩٢٠ اسابيع فاسابيع. ثم ما لبث ان اتى فصل الشتاء الاول لسنة ٩٢١، وقد مرت ثلاثة اشهر على قيام وايام مثقلات بالتبعات، و المجاهدون يتساءلون اين الميدان ومتى الوثوب. ويرددون السؤال كلما اقبل ليل وطلع نهار. لقد ضاقوا في تعليل التلبث والركود. انهم ما جاؤوا لقضاء الاشهر بالحركة ولكن من مراحهم محطة الشام في جيش الامير وصناديقه البيض والقبعات. اتسع صدر الاعتراض وذهب الكل فريقه. فاذا بسمو القائد العام ينفض عن صدره ما كتم، ويستعلن ما طيه عزم، واذا بالامل المرجو يتهدم وعرى الرجاء تنفصم، والدين موجز ماتم !

محاذرات الاستاذ :

وشرع الامير يلقي محاذراته على الاسماع فيقول: ان حملة كهذه تنطوي على خطأ. فقد بالغ الاخوة ايها في تصوير سهولتها وفي قدرة البلاد على نصرتها حتى دار في خلدنا ان جيشنا الصغير ما يكاد يطل على معاقله الا ليغدو جيشا لجبا بمن ينضم اليه من مشاة وفرسان ومواكب متطوعين ومدافع واعتاد وخزائن مفعمة بالمال وعتاد مزجوجة بالميرة. ثم تثور الامة وتمور فترمي المحتلين في الداخل بالحمم فيضطرب الماء ويربد الهواء فلا يسع المحتلين عندئذ الا ان يهرعوا نحونا طلبا للهدنة ورغبا في المفاوضة. وبهذا ينجاب الاحتلال، وترف اضواء الاستقلال من جنوب الى شمال ! وكفى الله المؤمنين القتال !

على هذا النسيج الناعم من الامل الرقراق اذن كان غزل العرب يبني خياله. وعلى براعة هذه الاطياف ذات الالوان قد شد نحو الشام رحاله، وشد لجانة العرش ازياله ! هنا ادرك الوطنيون ان قائدهم الامير لا يصلح الا للخيبة، ولا تصلح الخيبة الا له ...

هكذا تبدى التغليف الصحيح للحركة الميمونة ... اذ كشفت عن وجهها منذ انبثق اول مشرق من مشارف الشام فطغى في ان القوة الحجازية الصغيرة هي المقدمة والمؤخرة والقلب والجناحان فلا عدد لها ولا سند، ولا سبد ولا لبد، وان القائد الثائر الهمام جاء يحدوه الخيال وتغذوه الآمال وظهره خال ويده صفر من المال، وليس حواليه سوى عدد من الزعماء والاقطاب اخلياء الوطاب لا يملكون سوى حمية متلظية وحماسة متقدة وقلوب مؤمنة ...

اميرهم خزائن ابيه وبدد عتاده وتقاعد لكوامر عدته كي يغض الامجاد الزائفة حقا في الجهاد

وتوالت محاضرات الامير في حدود مقولته سالفة الذكر يبسطها ويشرحها وينثر دررها في براعة القاء وحسن اداء، حتى انه تجد مقنعا في السامعين. لولا ان التلاميذ الخبثاء... كانوا يستمعون الى محاضرات استاذهم الامير في وجوم وانقباض فلم يقابلوها مرة واحدة بتصفيق الاستحسان، اذ كانوا في واد وهو في واديه، ونظرتهم تعارض نظرية القائد المغوار الذي دلف الى البلاد مقاتلا مناضلا فانقلب سالما جاهلا، والى نظرتهم في فصل تال

القاهرة حسين

من انفاس التاريخ : ٤ —

التزمت في المقولة السابقة امانة السرد حين بسطت نظرية الامير تبريرا لمسلكه في اطالة اللبث بعمان بحجة انه وجد الحال على غير ما صورت له قبيل مزايلته مكة. وها انذا ابسط نظرية الوطنية المضادة لها وملخصها: ان احدا لم يقل له في مكة ان خارج الاردن جيشا لجبا او عرشا تكاملت له الوسائل والمعدات وسادته انظمة الحياة والالوية والكتائب والفصائل ودوائر تشكيلات الجباية وخزائن الميرة فما هو بحاجة الا الى شخص واحد: قائد اعلى ينحني له الرؤساء والقادة وتشنف اسماعه الحان الموسيقى واناشيد الفخر. لم يقل له احد ان الطريق معطر بنوافح المسك ومفروش بالورود والرياحين. بل كان الامل من الملك الحسين عميد النهضة وابي الثورة الكبرى ان يمد حملة نجله بما لديه من فضول مال كثير تخلف عن الثورة فيكفيها ولمن يلوذون بلوائها بالسلاح واسباب الاعاشة تحقيقا لمقصدين جليلين: انقاذ وطن جريح واعادة بناء عرش هاشمي مكان آخر مضيع. فما كان يدور في خلد الوطنية ان تغادر حملة الامير مرابطها في بطاح الحجاز وتنتقل الى شرقي الشام لتخوض معترك الجهاد وملحمة الاستعباد الا وهي مزودة بجميع مهيئات النجاح مع علم من ازجوها ان سورية مصابة بنكبة عاتية اثر تقويض الدولة الفيصلية وان الاقطاب الوطنية من ابنائها هم دون في الآفاق محكوم بمختلف العقوبات مجردون من اموالهم ودورهم فما يملكون في حالهم الحاضرة الا ان يقدموا غير النفس الاعظم وقائد حملته الزمن النفيس ومهج هي اقدس ما يسع ذوي الشعور المرهفة والنزعات الماضية انه يقدموه الى مذبح الوطنية. وقد كان بعضهم ولاة وحكاما في الدولة المقوضة فلم يشأوا ان تمتد ايديهم قبل جلائهم الى ما في خزائن الدولة من اموال موجودة. حتى التي جمعت تبرعا لحركة الدفاع قد تعففوا عن مسها مبالغة في تجنب مواطن الظنة.

سواء أكان هذا تزهداً لا مبرر له أو كان ترفعاً سلفاً فانه لا يغير في الامر الواقع من انهم تزهدوا اعفاء و اخفياء من المال فوجدانهم مبرأون من ان له صلة بدولة خارجية بل كان اتجاههم مقصوراً على جهة واحدة هي الدولة الهاشمية الحجازية وكانت في دور استقرار وطمأنينة حال [illegible] على انه تكون الاصل المرجو في تموين الحملة وتسليحها مقابل مطمع عام هو استصفاء الشام لصالح العروبة كوطن بطبيعة الحال وتوطيد عرش آل هاشم في ربوعه. وهل يدور ببال انه يكون الوطن بلا ثمن؟ او تكون زعامة العرب العليا للاسرة الهاشمية عارية عن التكاليف او قائمة على البذل من جانب واحد؟

لقد حرصت على تلخيص النظريتين تلخيصاً احسب انه اقرب الى الحيدة. متناسياً اني من زمرة هؤلاء الوطنيين السوريين واحد المشايعين لرأيهم. لكني هنا في موقف المدون لشوارد الحوادث وتعليل مناسباتها. وعلي الا اجلي ناحية من نواحي الرأي تاركاً المقايسة والمقارنة بين مختلف الاتجاهات لمن يتولونه بعدنا فحص الحكم الارشد والرأي الاسد حصحصاً وان الحقائق تبدو عورة اكثر منها مقنعة

قد يقول قائل: لماذا كان هؤلاء الوطنيون يستشفون بواكير الخير من كل حركة، ويعقدون عليها اكبر الآمال، فتستفزهم الاماني ويستقادون الى الاحلام وهم اهل تقدير ونظر؟ الم يكن خليقاً بهم ان يحسنوا ترتيب النتائج ويتدارسوا وجوه الاحتمالات قبل الشروع في مرماهم؟

بل احسب ان بعضهم قد وجه الينا فعلاً مثل هذه الاسئلة ولكن بعد انكشاف الاحوال. والجواب عليه هو ان الاكثر من التخلف مع القواعد وليس من شيمة العاملين. ونشأة لا يغفل الى ان الظروف السائدة يومئذ كانت ظروفاً تقتضي السعي الى خلق "حركة ما" ضد فرنسا التي تمعن في ظلمها وايذائها السوريين وتكبت الحركة الوطنية في سوريا وتشده الى الاذلال. فكان الوقت لا يسمح بالاتئاد في فلسفات عن مآل الحركة ومضاعفاتها. وفي التنبؤ بما هو مطوي في ضمير الغيب. فرجال الوطنية لم يكونوا مجتمعين في مكان واحد ليستشفوا استنباط الفوارق بل كانوا منشورين في الشرق والغرب فلم تتوحد جهودهم الا في مبدأ الكفاح.

واظنني لست بحاجة الى التنبيه مرة اخرى بانني هنا اتقيد بمنطق الحوادث في تدوين آرائه ولا اريد تبيين نفسي دون قصد الى تجريح او تمجيد، تاركاً شرحها على الطاقة [illegible] منطق الحوادث لولا انه لا يحاسب احداً. وسأزيد هذا التفصيل ايضاحاً في الفصل التالي

القاهرة سبتمبر

رجالنا من اشرنا اليه بالفرع في تبني حملة معان والاتحاد عنها . ولا بأس ان نسجل لهذه الزمرة ملاحظة فنقابلها بسعة صدر . ونرد عليها بالقول الآتي : معلوم ان لنفسيات الافراد والجماعات مقاييس ومعايير تتأثر بالظروف التي تكتنفها فتدفعهم الى القوة تارة وتارة بالهدوء من مؤثراتها الى حدة . وقد كانت نفوس الجماعات السورية المناضلة مشبعة بشيء واحد هو فتح ميدان يموتون تحت ظل قسطله كراما او تتحقق غاياتهم الوطنية العليا في تحرير وطنهم من عبودية الاحتلال . فلما تدرج لهم الامل في فتح الميدان هرعوا اليه وكنا نعتقد بان ما نحن فيه اقصى ما نتوقع ان نلاقيه . على اننا كنا نعقد العصبة على مثل اليقين بان تكون الينا ادارة دفة الحركة وفق المرامي والغايات المقصودة وان نكون وقودها وضحاياها . وفعلا لقد انتهينا الى هذا آخر المطاف، ولكن في ساحة الخروج والحرف لا في ساحة التضحية والشرف!

من جراء تحول مسلك امير الحملة من حال الى حال

فقد عرف القارئ من سردنا لطوالع الحركة اننا استقبلنا في معان ثم في عمان علائم غير منتظرة كادت تلوح بالآمال المعقودة . اذ تبين لدى اول فرصة من اخوانه لقيت الامير في معان واستشرفت نياته ان تصرفاته لا تتوافق مع ما نيط به من جليل وما ذاع عنه من رجولة وصلابة . كما ان من ذلك ان سموه اجتاز مسافة ما بين المدينة المنورة ومعان في سبعة عشر يوما متجنبا الازعاج من جلجلة القطار وحر الهواء مهما كاد يبلغ معان حتى اخذ يبرم بازيز اسلاك التلغراف الهينة اللينة شأنه المصابين بانهيار الاعصاب . فوجد ان احاديثه لجنوده من شيوخ القبائل ورجال الحرب قد تحولت من لهجة الحماسة والتشويق الى لهجة التشكيك والتهويل ثم زادت الاوهام بسموه فطلب الى الشيوخ والزعماء حماية شخصه من اي انتقام محتمل الوقوع ضده ... وليصارحهم بان الامة السورية على غير رغبة كاملة لقتال الفرنسيين عدا افراد من طلاب الاستقلال وغلاة الحرية يعدون على الاصابع!

وان الموقف يقتضيه الديبلوماسية سلوك المرونة والتأني واتباع طريقة ~~[illegible]~~ الهوادة والليونة لحل قضية سورية جانبيا . فاعتقد سامعوه ان الامير نسي او تناسى هدف قدومه الى اطراف الشام وان سورية امة لا تعوزها المفاوضة مع العدو ديبلوماسيون من ابنائها تمرسوا بهذه المهنة من غير حاجة الى استقدام امير خطير . ولكن لم يكن ليقع في خاطر احد ان يزول الاحتلال بمفاوضة جارية ... بل بامر واقع يجبرون على احترامه . فلو جاز ان تكون المفاوضة سبيلا ناجحا لحل قضية سورية لما جئنا وراء لفيصل الملك ان يتوقع في نهجه الذي سلكه بعد خروجه من البلاد وهو يعلن انه يتكلم باسم كرامة بوصفه انه صاحب تاجها وقائدها السياسي الاول اذ ذاك . وقد كان له ان يحرك مشروع

اتفاق ديسمبر ٩١٩ الذي تم بينه وبين مسيو كليمنصو ولم يكن قد جف مداده بعد . ومع هذا فقد
استعصى عليه وهو مقيم ببلدة كومو في ايطاليا ان يخرج المشروع من الضائقة اذ رفضت فرنسا الاستجابة
لطلبه في المفاوضة ولم تقبل الدخول في اي حديث يتناول موضوع نقض الاحتلال الذي تم في سورية . فما بالك
الان في مفاوضة بين امير يؤدي صلة بسورية وبين سلطة الاحتلال فيها وهي لن ترضى بتغيير دائم سلطانها
وجراء ان التطلع الى مبدأ المفاوضة السلمية مع العدو لم يكن امرا مقبولا ولو سعى اليه الملك فيصل
نفسه . واري من باب الاستشهاد ان اروي مقابلة تمت بين جلالته وبيني في الشهر الاول من شهور قدومي
الذي تلا حادثة ميسلون . لقد كنت موفدا من قبل مجلس المجاهدين بجبل الدروز مع عشرة من الفرسان لمقابلة الملك في درعا التي
نزلها بعد جلائه عن دمشق . وقد سقط في يدي عندما بلغت درعا وعلمت ان جلالته رحل منها الى حيفا بعد ان
انذرت السلطة الفرنسية بهدم المدينة بالطائرات ان لم يغادرها جلالته في الحال . وكانت درعا وما جاورها
من قرى حوران تموج بعلائم الثورة التي نشبت بعد يومين فاودت بوقعة خربة الغزالة بحياة عبد الرحمن
اليوسف وعلاء الدين الدروبي من الوزراء الحلبيين الذين عينتهم السلطة الفرنسية اثر احتلال دمشق . ولحقت
الى حيفا فسلمت لجلالته رأي مجلس المجاهدين السوريين وهو يقضي بمجيئه الى الجبل ليقيم فيه دولة سورية
شرعية ويكون جلالته القائد الاعلى لجيش الجهاد استئنافا للقتال ومحوا للهزيمة بميسلون فيستمد
عضدا لانه في الداخل ولا تلين او تستكين للاحتلال . ولقد جهدت كثيرا في اقناع الملك بوجاهة هذا
التدبير ومحاولة اثنائه عن طريقه الى المفاوضات السياسية في اوروبة . فكان جلالته يصر على
انفاذ ما تراءى له من ضرورة السفر الى باريس ولندن بغية احياء مشروع اتفاقية فيصل - كليمنصو سالف
الذكر قائلا ان خمسة عشر يوما يقضيها في اوروبة كفيلة بان يعود الى دمشق ويجدد حياة دولتها العربية
المقوضة ويجلو جيش الجنرال غورو عن البلاد ... بوصف ان عدوانه على دمشق لم يكن مستندا الى موافقة
من حكومة باريز . قلت له ان ظروف الاحتلال الحالية غير الظروف التي كان جلالته فيها ملكا متوجا تحف
به حكومة ومجلس وشعب وجيش ويسنده وضع خارجي مهيب . وان الاحتلال اودى بهذه المهابة
وقوض الوضع فلن يسمع ساسة الغرب الى نداء الواضح ودعاء ترميم الاطلال بين الدول المنتصرة .
ولعل الاجدى تجديد النضال وراء الحدود حيث تؤلف الدولة السورية فتستمد صفتها الشرعية وتستأنف
مشاغلة العدو بالعصابات في الداخل وعلى الحدود وحينئذ يضطر الساسة الى فتح باب المفاوضة ويكون للعمل السياسي مكان
وقد اقتنع جلالته اخيرا بسداد الخطة لكنه اصر على السفر مع موافقته على ان تحتفظ الحكومة بنواة جيش
الجهاد بينما يمضي هو في عمله السياسي فانه اجدى وحتى القرب كان غدا ، والاعداد الينا لمراس حركة النضال .

وفعلا سافر جلالته في الفلاة الى بورسعيد ومنها الى ايطاليا فاغتنم الذكرى الطيبة الى باريز ولندن موصدا في وجهه ولا يقبلونه وزنا لما عكفه على ابنه له اليها من اعتراف وعتب ج وظروف حول فلبث في لندن كومو مؤرقا مسهدا، لا عمل له سوى مناشدة مقامات لندن تذكر الوعود المقطوعة للعرب وآثار الثورة العربية في انهاء الحرب لصالح الحلفاء. ولم يعد يدري مصيره لولم تواته نفحات الثورة العراقية فيدعى بعدئذ الى لندن ثم الى العراق ليوضع حد للثورة الملتهبة في بلاد الرافدين — ولولا ثورة العراق. نعم الثورة التي نشدها شعب نجد الشماليين، لما تحقق لجلالته مأمل. فالثورة هي التي حملته الى عرش العراق فانقطعت صلته بعرش الشام الذي ذهب الى اوروبة ساعيا وراء استعادته فلم يفلح سعيه. اذ لم تكن وراءه ثورة تنطق باللغة التي يفهمها الغرب

وانما سردت هذه الاقوال توكيدا لخطة الوطنية الذين التحقوا بالامير عبدالله ولم يستريحوا الى جنوحه لشق ما جنح اليه شقيقه فيصل مع قوة الفارعة بينه هذا كعرت شيء بشأنه وبين مركز الامير عبدالله وجهو طال من شق هذه الصفقة. فهذه لم يصب فيصل نجاحا في مسعاه فكيف تتاح لعبدالله ان يؤثر تام! حقا لم يكن ثمة تدبير الى تحقيق الامل غير السيف البتار، والعزم الجبار، والجيش الجرار. وصدق قول القائل:

ومن يطلب الفتح الجليل فانما — مفاتيحه البيض الرقاق الصوارم

وحبذا لو ان يتذكر قائد الحملة الحجازية هذا البيت فيما يحفظ من جيد الشعر وبدائع الحكم فقد اسقط هذا البيت من ذاكرته بل ~~[illegible]~~ واخلى ذهنه من جميع اقوال شعراء الحماسة، فكانت العقبى نتائج التي ادت الى احط منزلة الادنى

القاهرة — سيني

المؤلف — يؤيد ما تقدم قول الملك عبدالله في مذكراته المطبوعة ص ١٤٤ ،، كنت حين ذاك متفرغا من العمل فاستاذنت والدي ان يحملني تبعات هذه الحركة شخصيا ،، فالمعنى الواضح ان قائد الحملة المعانية انما تقبل مهمتها لفراغه من العمل ولم يكن للشق العليا دخل في اندفاعه

اتساع الجفوة :

كان طبيعيا اذن ان يشتد الفراق بين النظريتين المتضادتين. نظرة الامير الى الملك لله وخفض الجناح ، وتبعها الوطنيون انحرافا عن اصل الغاية واخذا بأنصاف الاحكام التي لا تخفض غرضا ولا تنمي في الشعب ملكة النضال في سبيل الحرية . ونظرة الوطنية المقيدة بالحرمة بانتهاء العهد والكرم والصفاء . فنشأت الفرقة وانبعثت الجفوة فراح كل من الفريقين يراقب حركات الثاني في حذر ، ويمضي في طريقه نحو مطامحه. على ان الامير وهو نقاد ، كان يبالغ في مجاملة من لديه من الزعماء والشيوخ ويكلمهم بلطف والمودة. وبديهي انه لم يكن يميل الى ان يفعل ذلك وهو في بلادهم وهم اهل الزعامات والنفوذ عدا ان نفوذه مستمد منهم ولا سبيل لغير معاملتهم بالطايبة والملاينة ويخشى انتفاضهم عليه كما بدا من استطلاعاته الآتية :

١ — ان تتقدم له البلاد رهائن من ابناء الشيوخ ورجالهم المعروفين

٢ — ان تقوم البلاد بثورة عامة تشمل المدن والاكناف والاطراف

٣ — ان تزود حملته بالسلاح والاموال والمؤن بالاضافة الى الاوضاع

٤ — ان لا يشذ واحد من اهل سورية في طاعة الصدر برهانا على الرغبة في الاستقلال

٥ — بعد انفاذ هذه الشرائط لا يرى كرهه مانعا من ان يتقدم نحو الشمال

هنا صاح الصالحون : ماذا دهاك يا عظيم القواد وسليل جعفر بن ابي طالب الراقد في مؤتة الحجازيه. اين اثر دمائه في شرايينك . واين ما نشعره عن قوة بأسك وشدة مراسك وما قيل عن سرعة سيفك الى رأس كل فارس متوان ، او رعديد جبان ، او لواطئ في مكان ! استرعت انتفاضة الشعب السوري بكامل افراده دون ان يشذ منهم واحد فهل سمعت عن امة غربية او شرقية انها خلت من فرد واحد يشذ عن الجماعات ، فجعلت شرطك هذا زلزلة لستر ذعرك ، وما جئت الا لترى في مخافة معادية تؤكد انك صاحب تاجه وصولجانه . ذلك ما اخذ القوم يتناجون فيه على تساؤل فيه من المرارة والتهكم ما فيه . والامير يتزيد من مقابلتهم بالبشر وطيب اللقاء . ولسنا نبغي ان نسجل له خليقة طيبة من خلائقه وهي ادب العشرة ولطف المؤانسة ورقة المنادمة وكان يتذرع بها لتغليب حجته وتسكين شرة الحماسة الوطنية وتخفيف حدة الانتقاد . الا ان ما بذل من هذا وقف جميعه عند حد تقدير ادبه والتماس خلقه الذاتي ولم يتعد الى التأثير السياسي ويندمج في الاعتراف عميقا وقرضا عنه بلباقة وكياسة

اصطنع الامير عددا من المرتزقة والشارات استدناهم اليه مكان الاكثر المتباعدين عنه وهم في اتهم في مكانة السمع والبصر ولم يكن اولئك الذين اصطنعهم سوى صحن انجاد ماداء اكم واحدهم في مجم ولكان لهم في مصادر الوطنية موضع .

ولعل من المحقق ان هذا العامل اثر في توسيع شقة الخلاف بين الامير والوطنيين فقد اصبح اولئك الاشخاص

الصغار في الرياء والمداجاة وبالغوا في الخضوع والانكسار. ازاء ذلك وجد الامير منهم اداة لاي خطة

من آرائه، فيقابلونه بالابتهاج و يبتعدون عن نصح كبار الوطنيين ومن توجيههم اياه للرأي الاصح

والنهج الاقوم. وشتان بين نصح يقدمه الوطنيون لوجه المصلحة العامة وشهوات من البطانة يقدمونها

للمصالح الرخيصة والنعم الضافية التي اخذت تنثال عليهم من رتب والقاب تماشياً للمصانعة والاطراء.

وانها لشنشنة لبعض اولياء الامور ممن يفضلون هذه الانانية على وعي الاصحاء الناصحين فتكون عقباهم

سوء العاقبة وسقوط المكانة. ولكن من عدم التوفيق الذي لازم الامير طوال عهده انه تخير لنفسه هذا المصير.

والمؤكد ان هذا العامل كان بعيد الاثر في ترتيب النتائج السيئة ودوام عهده مدة بضع وعشرين سنة

حتى كتابة هذه الفصول وسيظل الداء موصول السبب ما دامت الحكومة، وبخاصة بعد ان انتقل اثره من

اوساط الامير الحافين بالامير الى اوساط دمشق وحلب وبغداد والى كل مكان يقوم فيه للعرب محفل وناد.

فكان له المسعى الاول في تفشي الثقة بين عمان والعالم العربي، وقد دفعه اعجاب الامير هذا بالصغار لتسلق

مراكز هامة في ظروف العمل لخير قضية سورية. وها هي ذي عمان ما تزال تعاني تدهور احياء الثقة وقد

اسفرت عن ذلك التعرف البسيط في خبره العيون في اثره. حتى غدا كل اتجاه يتجه من ناحية عمان وقصر

رغدان يختفي مع خبر كان! ومن العجب العاجب ان عمان لم تفطن بعد لهذه العلة الواضحة، فما

يزال حكمها مستقراً وخيرها مستمراً. رغم انها سببت كل اخفاق مني به صاحب الاردن ومصدر خذلانه

كل فشل واجه مقاصده. اذ ما برح الاوغاد مقربين والاحرار منبوذين، فكل نصح لنقيض وكل رأي

مريض وكل سعي مورده بالاوكل يذوي ويفيض. وتمايل الذي يجعل لكل اخفاقه سببه ....

وانى لاحب ان امسح عن ذهن القارئ انه بادرة للطعن فان هنا شيئاً من النفاس بين الوطنيين

والافراد البطانة الذين رجعوا الى غير رجعة ... ان الوطنيين لاكرم على انفسهم ان يتساووا مع اولئك

في القيمة. وانه خلاء نفاس ولا تنافس. بل تعليق للحوادث واستطراد الى العلل والمعلولات

في ابانة وتوضيح ولعل في كشفها ما يفيد امثال صاحب كتابه على الفطنة والاستبصار

القاهرة

الحسيني

وكان ذلك النفر النفعي الذي لصق بالأمير قد جاء الى عمان مخطوف البصر بما كان شاهده في رجال الثورة العربية بعد بلوغهم الشام من اختيال مناصب ومغانم فشاقه — أي ذلك النفر النفعي — ان تسبغ عليه حركة الأمير عبدالله نعيمات كالتي حسا ولدى علي فداعبته مظاهرها المغرية فحلم بعد هذه الأمنية الحالمة ما كان عبدالله ان يتلقى بالنظام ليطفيه او تحوث فيهبط معسكر الأمير لينحشر في صفوف المجاهدين، لا ليلقى بهم غواشي السيوف ويردهم بوارق الحتوف بل ليلب لهم بيدأت المال فينعم برخي الحال وطيب المآل! ولكن خابت بعد وصولهم ظنونهم فتبددت في حبيبات الفقر ظنونهم وتطامنت الى نفايات المنافع عيونهم اذ لم يكن لهم ما كان للرهط الوطني من شرف نوازع وشرف دوافع فلجأوا الى الملق والرياء وسيلة للكسب الحقير. وانه ليحز في نفسي الا استطيع تسمية اولئك المنافقين بأسمائهم لان اكثرهم ذهب الى جوار ربه وبعضهم انطوى على نفسه مغمورا بسقوط منزلته وحطة قدره. وقد نزل بهم عدل الله عن طريق اخيهم التي ابت ان تدخلهم في تركيب بيئاتها الوطنية فغدوا منبوذين. حتى ان الأمير الذي بالغوا في منافقته ومصانعته لم يخطهم طويلا فأشار لهم الى باب الخروج....

ولن يفوتني ان أشير الى ظاهرة لمستها في الطبقة المتخلفة بالمدينة وهي ان منهم من شد رحاله الى عمان او كان متوجها ان هناك دولة اجنبية كبيرة قد اغدقت بالمال الكثير كما امدت الثورة العربية الكبرى في الحرب العالمية ليثبت العرب امام قوات الاتراك والالمان والنمسويين ليشغلوا جيوشهم عن الجبهة الغربية. فظن بعض هؤلاء المتخلفين ان هذه حركة تحمل ذات الطابع مع فارق اختلاف الظرف بين حرب وسياسة اذ ظنوا ان لدولة اجنبية ذات مصلحة في اقلاع الانتداب حيثما [illegible] التي تريد ان يكون وجودها في سورية مستقرا ولا تود الاجنبية ان يكون له كذا. وعلى الحجة هذا الوهم ولفه هؤلاء الى معسكر الأمير فكان مردودا طالعهم ان وجدوا الحركة شاعرية امالها خصب الخيال!

على ان تقدم الأمير عبدالله الى عمان قد كفل له في الشعب السوري ابان الامر رعاية جد واسعة نظرا لشدة مظالم الفرنسيين وتطلع الشعب الى منقذ يكون رجل الساعة. فزاد في قيمة الأمير ارتفاعا وجود رجال الى جانبه من امثال رشيد طليع رجل الحزم والتدبير، والأمير عادل ارسلان سيد شباب عهده والراجح الادراك، ونبيه العظمة المتميز بالقدرة والارادة، وجميل المدفعي احد القواد قلبا واربطهم جأشا في اللحظات الفاصلة، واحمد مريود الانسان في ثوب بطل والبطل الكامل في صورة انسان وقد كرم الاخلاص نفسه اذ تجسد في صعوده، وفؤاد سليم

الكمي الشجاع الباحث المفكر، والسيد الزكي الرصيف حسن الغنيا من العاطفة والحس قصائده
موشاة بروائع الكلم وبدائع الحكم وشذرات الفكر والالم، وكنوز حب الهادي الوافر السلس الواسع
المدارك. اضف اليهم اخوانهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم كانوا جميعا من كريم صفات وجميل مناقب
وكلهم من اعلام الجهاد. كان طبيعيا ان يلتفوا حول حركة الامير الهاشمي ثقة اقوامهم فيه عند جموعهم الى جانبه
على ذيوع دعاية الحركة في الكتائب العربية واطرافها. لكن هذه الثقة الثمينة قد بددت سمومه
بجناية الرهط الاثيم واصطناع الرهط المنافق فلم تقم له قائمة منذ ذلك الحين.

نعم لقد كان بمكنتنا ان تقدم الامير دونه عثار وحال تستقيم بها الحال في البلاد الاولى. ولكن بكل نا بادرهم
الغالية فقدان الثقة بقدرته على العمل لانقاذ البلاد السورية. وهكذا قدر لحركة الامير ان تشل من عروقها
بقيام النقل على عود ماش، ووضع البناء على اس زائل، وتلوين الصورة الموفقة بلون ناصل!

قد يقول قائل: لقد كان الامير على حق في جنوحه الى السلم لعداد [illegible] سورية تمويلا لحملته.
ونقول في الرد. لقد كان من الحكمة القائلة في حجة [illegible] عامل عظيم [illegible] العرب ان تمد
حملته بما يمكنها من الاضطلاع بمهمتها. اذن لو دعيه من داخل سورية عدد متواصل يدعم حركته اذ
كانت سورية تئن من تسلط الاجنبي على الاموال والثروات فلم يكن ثمة شك في انها ستقدم من الانقاذ
بفضول ما تستطيع بذله من اموال رغبا في ابراز معنى الاشتراك الفعلي وقطع الطريق على ادعاء المستعمرين
بان حركة الامير الهاشمي حركة غزو خارجي لا صلة للشعب بها. وهو ديدن الواجد الاستعمار حين يعللون
مناشئ الحركات النهضية التي تقاوم احتلالهم فيبادرون بالمسخ والتشويه. اما ان تبدأ البلاد تسعى
نقد كان خارج سورية، لان جمع اموال وافرة (الوف) من الافراد ان ادى الى شيء فالى [illegible] الجواسيس
وفتح ابواب السجون والتنكيل برجال الوطنية في الداخل وفرض غرامات جديدة على البلاد. وانما السبب في
سرد هذه الاسباب لنطلع ابناء الجيل بما دونه وجل من الاخطاء. [illegible]

القاهرة [illegible] حسين

خزائن الحسين :

وعادت في بحث تمويل حركة معان فاذا بنا نصحح الا الى الاشارة الى الاعتقاد الذي ساد في الاذهان بان الامير عبدالله من خزائن ابيه "ملك العرب" ينبوعا لا يغيض مدده ويمكن ان يسع فلوسهم. اذ كان مفروضا ان لدى زعيم الثورة العربية من مخلفات ملايينها الاربعين مقدارا في ركن خزائنه يتراوح بين اربعة وثمانية ملايين من الجنيهات الذهبية مدخرة لمثل هذا اليوم ولمثل هذه الآمال التي تربط تقدم امبراطورية عربية تحل في الشرق الادنى والاوسط محل الدولة العثمانية التي فاض رونقها وصوح عودها فاصبح من مرامي السياسة الدولية ان تقوم مجموعة شرقية مكانها وليس هذا الا مجموعة الاقطار الممتدة من تخوم عدن الى اقصى الهلال الخصيب فيرأسها الملك حسين كبير العرب وخليفة الخلفاء . كان يمثل هذا الاتجاه السياسي ليلهم الظن بان حكومته قد رسمت الخطط وتأهبت لتنفيذها جملة او على مراحل زمنية فيعمل على استصفاء البلاد العربية قطرا بعد قطر وجعلها في نقطة الارتكاز . فما كان الاعتقاد بقدوم الحسين بجيوشه اليه نسيج خيال او وليد شعرية . بل كان وليد ترتيب منطقي وليس مجرد ظنون . فكان عجبا ان يتحول "الكاتب العالي" من مكة الى معان دون تأهب واستعداد وهو يعلم انه قادم لينقذ قطرا ويتسنم عرش ويكيد بجواسرة ويرتق اسمه في سفر التاريخ بخط كبير!

احسب اني وفيت النظرية حقها من صحيح التعليل لان الاحداث التي وقعت بعد ذلك تولدت عن التقصي للدول ومنه تفضل العدو الطامع بمنطقة الاردن واخذ يكيد للحركات الاستقلالية فيها موقنا بمطمعين: اخضاع المنطقة لنفوذه وجعلها قاعدة استراتيجية، مع ابعادها عن فلك الوطن القومي اليهودي ابعادا موقتا او دائما لاغراض استعمارية بحتة، لا عداء خصوصية لربيبته الصهيونية او حبا بالعرب !

القاهرة .. حسين ..

بخط سامي السراج

الوضع السياسي للاردن :

تتألف منطقة شرق الاردن من بلاد السلط وعمان والكرك وعجلون ولواحقها وهي اجزاء سورية جنوبية وقد ظلت ايام الدولة العربية الفيصلية تابعة لدمشق عاصمة هذه الدولة تدار من قبل موظفين معينين من لدنها. فلما تم تقسيم مناطق النفوذ بين انجلترة وفرنسة كان من مقتضاه اطلاق يد فرنسة في سورية ولبنان شرط شرقي الشريعة داخلة في الدائرة الزرقة لانجلترة وقد اكدت فرنسة لانجلترة حرصها على عدم التعرض لشرق الاردن. لذلك وقف احتلالها داخلية سورية عند جنوب درعا. وقد وقف هذا الاعتبار دونها مدة حكم الملك فيصل بعد ذلك ثم الداخلية والى ان ابعد جلالته عن دمشق. فلما تقوضت اركان الدولة العربية الفيصلية وحط الملك فيصل رحاله في حيفا ارسل اليه السر هربرت صموئيل المندوب البريطاني في السامي بفلسطين في ٢٠ اغسطس ٩٢٠ يبلغه ان شيوخ الاردن قد طلبوا اليه انشاء ادارة بريطانية وانه يزمع تلبية دعوتهم لزيارة بلادهم والاجتماع اليهم في مدينة السلط. وقد سافر المندوب فعلا فاجتمع الى الشيوخ والزعماء واعلنهم ان بلاد الاردن هي بمقتضى الاتفاق الانجليزي الفرنسي داخلة في منطقة نفوذ بريطانيا وقد فصلت عن تبعيتها لدمشق وستقام فيها ادارة عربية محلية تحت الانتداب الانجليزي في بعد عن تسرب الوجهة الصهيونية اليها. وقد تبع ذلك ارسال معتمدين بريطانيين الى شرق الاردن وانشاء ثلاث حكومات في كل من السلط والكرك وعجلون. لكن تعدد الحكومات وتعدد مختصاتها اوقع البلاد في تبلبل فكان ان بدئت معاهدة ام قيس بين شيوخ الاردن والمستر سمرست في سبتمبر ٩٢٠ تنص على ما يلي :

١ـ توافق بريطانيا على انشاء حكومة عربية موحدة في شرق الاردن لا تضم حوران والقنيطرة ومرجعيون باعتبار انها تخص الانتداب الفرنسي

٢ـ تنظر بريطانيا بعين العطف الى تولية امير عربي لشرق الاردن

٣ـ يكون لبلاد الاردن مجلس عام يشرف على اعمال الحكومة

٤ـ تمنع الهجرة الصهيونية الى بلاد الاردن والابتياع لليهود ارضي

٥ـ تعتبر ادارة شرق الاردن منفصلة تماما عن ادارة فلسطين

٦ـ تؤلف الحكومة البريطانية جيشا اردنيا من اهل البلاد

٧ـ لا تمنع الحكومة البريطانية السلاح عن الاهالي وللحكومة الوطنية الحق في ذلك اذا شاءت

٨ـ لا تسلم الحكومة البريطانية الى لاجئ سياسي استظل ببلاد الاردن

٩ـ التجارة حرة بين بلاد الاردن وفلسطين والبلاد المجاورة وتنال بلاد الاردن حصتها من واردات الجمارك الفلسطينية

١٠ - يرجو شرق الاردن بريطانيا ان تحول دون تصديق عصبة الامم على انتداب فرنسا لسورية

ولعل المادة الثانية من هذا الاتفاق هي التي اوحت الى بعض مدوني الحوادث فكرة ان قدوم الامير عبدالله الى الاردن كان نتيجة اتفاقه مع بريطانيا معه . بينما الواقع يناقض ذلك بدليل اعتراض المندوب السامي البريطاني بقوة على اتخاذ سموه امير الاردن عقب وصوله الى عمان وقد جرت هذه الاتفاقية في محادثات سرية كان عوني بك عبدالهادي شاهدها . اما منطوق المادة الثانية من معاهدة ام قيس فلم يكن اكثر من امنية ابداها شيوخ الاردن وقد يسر المعتمد البريطاني درجها مسايرة للشيوخ ومصانعة للبلاد تتحاشى بريطانيا ان تدخل معهم في اصطدامات وهي آخذة ببطء تجريدهم السلاح . واما تنصيب سموه حاكماً للاردن بعد ذلك فقد كان استغلالاً لهذا الواقع ومحاولة لتسخير الامير الى غاية بريطانيا في اخضاع بلاد الاردن الى نفوذها المطلق بواسطته دون شاغب . هذا ما نميل الى ترجيحه وان تلك القرائن تشير الى وجود اتفاق سابق بين بريطانيا والامير بالقياس الى الترابط بين اوليات الحوادث واخرياتها بداية من مذكرة السر هربرت صموئيل السرية الى اللورد كيرزن بحيفا ، الى الاعتراف بالامير عبدالله حاكماً على الاردن اثر مقابلته مستر تشرشل في القدس ، الى المراحل التي اتبعت خلال ربع قرن لتثبيت نفوذ بريطانيا وترسيخه ، الى اقصاء الزعماء الاستقلاليين عن بلاد الامارة ، الى معاهدة سنة ٩٢٨ التي لا يليق ان تعقد مع الزنوج ، الى تقريب الاشرار واستبعاد الاخيار ، الى تسويد الحكم الفردي الاوتوقراطي ، الى النكبة المريرة التي كبلت شرق الاردن بمعاهدة ٩٤٦ في قبضة تجعله مركزاً استراتيجياً للقوات البريطانية مدة عشرين سنة . ان هذه السلسلة المحبوكة من التصرفات الاستعمارية قد اخذت الظن بوجود اتفاق سابق بين الامير عبدالله والبريطانيين قبل مبارحته ام القرى فكان الرجل الطيب الذي يحسبه مؤلف الرواية وكيل الفدائيين مخرجها .... على اننا نسرد هذا التخريج بكل الاحتراس ولا نعتقده امراً مقطوعاً به ولعل واضعي التاريخ الحديث يعنون باستجلاء هذه الحقيقة الغامضة وكشفها من لفائف الملابسات

القاهرة " السنة "

٢٧

بيعة الشقيقة :

ذكرت ان الامير تواترت له دعاية في بداءة عهده واسعة النطاق كان من مفعولها والشدة ما كان يتعهد اهل سورية من كرب وبلاء ان دار في اخلادهم ان الحرية لاحت تباشيرها وان يوم الخلاص قد ازف . وساعد على شيوع دعايته منشوره الاول وقد حفلت عباراته من معدن الحماسة ومعاني النخوة والتجرد من الطمع الذاتي وكان ختامه يعني الشرف بان سموه سوف يعود الى وطنه الحجاز عقب اجلاء المعتدين مباشرة ناعما بالنتائج وتاركا امر سورية لاهلها مع تجديد بيعته لشقيقه الملك فيصل . ولعل سموه قد عرف مكانة منزلة فيصل في الشعب السوري آنئذ فلم يسعه تجاهلها ثم لعله ترك للزمن زحزحة هذا الامر الواقع واكتساب مكانة له كمكانة اخيه فرأى من الحكمة ان يجانب التيار . وصوابا فعل !

وكان من تأثير منشوره الاول ان التحق بمعسكره من استطاع اليه السبيل كما تقدم القول . بل لقد تحمست اطراف في سورية الامر لفرط حماسها فانتقضت على السلطة الفرنسية التي نكلت بها شر تنكيل دون ان تلقى عونا من الاردن . كما كان من اثر ذلك المنشور ان تحول مجرى ثورة الاخ الجليل ابراهيم هنانو اذ اغراه تقدم الامير عبدالله فرحل من معاقل الشمال صوب عمان لوضع خطة حرب مشتركة تشغل العدو من جنوب البلاد وشماله فوقع له ما وقع شرق مدينة حماة من ملاحقة القوى الفرنسية له وللجماعة فاضطر بعد قتال عنيف شريف الى الانسحاب وكان لجواده الكميت السبوحة وطفراته في الوكناء من اعالي الجبال الى مراقي الوديان فضل نجاته وبلوغه عمان حيث استضافه القصر الاميري ثلاثة ايام ثم انتقل الى سكنى الذي كان يشاركني فيه الاخ الكريم خير الدين الزركلي وكان هذا الاخ غائبا عن عمان . ولهذا حديث سأتناوله في فصل آخر

حادث شهير :

احسب ان ليس بين الفصول التي ادونها ما هو اشد ايلاما لروحي من هذا الفصل الذي اشرع في جمع اطراف حديثه . اي فصل هذا واصداء الذكريات تتجاوب في ذهني ، والرعشة تلمس قلمي والاسى يملأ نفسي . فهو يتناول التحدث عن اخ من اجل اخوانه الجهاد شأنا وارفعهم رتبة ومكانا واثبتهم يوم الروع جنانا . الرجل الذي لم يحسب المجد نزقا وقينة كما حسبه غيره ... والذي طالما عنى قبيلا من نوائب الدهر وذعر من صواعقه الذعر ، والذي لم يجد تعريفا صحيحا للمجد الا انه السيف المهند والقنبلة البكر . ذلكم هو ابراهيم هنانو المجاهد الصامد والعالم العامل ، بل الله ثراه ونضر مثواه

كان ابراهيم اول ثائر على الجيوش الفرنسية التي اجتاحت البلاد وقوضت معالم الدولة العربية . فما ان سمع بنكبة ميسلون ورحيل الملك حتى اعلن العصيان في قرى الشمال فاتخذ من الجبال حصونا وراح يزعج الاعداء ويفاجئهم بالمرهفات الصقال معلنا ان الدولة العربية قائمة والاحتلال باطل وقد تبعه رجال الحرب والادارة فنظم الجباية واستزاد من التعبئة فارتفعت معنوياته وعظمت مكانته وعزت رايته فاجمع رجال الرعية والمؤمل لكشف الغمة . بل اجمعت الامة السورية باسرها رعية لحركته الاستقلالية الجامحة .

وعبثا حاول الفرنسيون ان يجدوا فيه مكانا للضعف او موضعا للهوادة فالقوه الرجل الصلب ذو العصب والكي الصعب . وقد لبث ابراهيم في قلاع الشمال نحو اثني عشر شهرا يكافح المحتلين بعزم لا يلين ويدير عليهم كؤوس المنايا والرزايا وهو لائذ بالصبر متترس بالتوكل ثابت امام المطاردة حتى لاح مصرع اخيه عثمان السواب الى رعي والشراب الناقع فنال الى شهيدا والتحق فهدا ... والحقت تراوده الاماني جذبا وشدا فلم ير غير الرحيل الى عمان بدا . فغادر معاقله مصطحبا من رجاله من اختار ، تداعبه الآمال في ان يجد من صاحب عمان عونا على استدامة ثورته . وقد اخترق بجيادنو الاعداد من حلقة آكام بيلان الى روابي عمان يحاول الاختفاء عن الانظار تارة وتجنب الاخطار تارة ولكنه كانت له بالمرصاد اذ كمنت بانتقته فوق فرسه كبيرة وهو في منازل احد شيوخ الاعراب بجواد السليمية شرق حماة وقد نجا من شبكة الصياد اذ انحدر بجواده من صدر جبل شاهق فلم يقو مطاردوه ان يتحدروا انحداره الخطر حتى آوى الى منزل امرأة قروية في ظاهر حمص فلما اغطش الليل سرى متواريا متخفيا الى ان بلغ عمان صابرا في الصبر على المكاره ومتحملا الخطوب اقوى تحمل وهو في حدود الخامسة والستين من العمر

لذلك كان لجواده الكحيل منزلة عنده تعدل منزلة وحيده طارق . وقد كتب لي من بجنة بكلب بعد ذلك رسالة مؤرخة في ١/٥/ ٩٢٢ يوصيني بهذا الجواد الذي تركه وديعة عندي وفيها ما يلي :

« اخي الحكيم . لا حاجة بي الى لفت نظرك الى الجواد . فهو عندي في اعز منزلة من الروح بحيث مقامه لدي كمقام ابني الوحيد . ولست مضطربا في موثوقيتي تعهده مادام انا قد جعل هذا الزنجية الصادقة لا يبرح خياله من ذهني ولا دقيقة . وانا شديد التحرق الى الاخوة ونحو الحق صدا عقد الشركة الا انه اوجبا اليه كل بالرجل ما تشعر به نحوي من العواطف . وسأعتبر هذا احسن تكريم لي . وارجو ساعده على ارساله بنفقة العودة . »

وانما قيدت قصة هذا الجواد الكريم لدوره في نجاة ابراهيم وكفاحه في محنه مع نجواه ولذلك عدت وفاء ابراهيم العظيم للفرس الذي انجاه . ولكنه قد استبقاه عندي نحو ضيفا على حصاني الاشقر «نجمان» قبل ان يسافر ابراهيم من عمان الى القدس . وقد سافر يوم ١٤ اغسطس من سنة ٩٢١ فصحبته انا والمغفور له رشيد طليع . ولحصان ابراهيم قصة من امتع واطرف القصص طرفها الاول هذا الجواد وطرفها الثاني صاحب السمو المفضال وهي تكشف ناحية من نواحي سموه مضادة لوفاء ابراهيم نحو جواده ، بل انها مضادة لوفاء الامير نحو ابراهيم نفسه . واني لارجو ان ينظر القارئ الى حين تتاح لي الفرصة لا طرفه بالقصة !

سنجي ..

القاهرة

محمد علي الراج

تتمة الحوادث :

كان ابراهيم قد بلغ عمان امسية يوم جمعة وفي ٢٩ يوليو ١٩٢١ . وقد وصل منفردا لا احد صحبه فتوقف وجهة الشيحة واستقبلته السلطة عددا منهم بينهم خالد ابو حمد بك وهاشم بك وجماعة من اخلص رجاله . ثم ان علمنا بوصول ابراهيم حتى هرعنا مع اخوانه اليه فاجتمعنا بعد فراقه واستمعنا الى حديث معاركه . وقد بلغت سبعا وعشرين معركة في غضون عام واحد ثم افضى الينا بالدواعي التي حببت اليه ان يقصد الى عمان وفيها خورد . توحيد الخطة وتنسيق اعمال الضغط على العدو من الجنوب والشمال حتى يضطر الى التسليم بمطالب البلاد . ولقد استكنا في اول لقاء مع ابراهيم انه تصدمه بالحقائق التي نواجهها حتى اذا اتم عدة الضيافة عند الامير وانتقل الى سكنى التواضع اخذنا نطلعه على ما دار بيننا وبين الامير خلال الاشهر الماضية وما انتهينا اليه من خيبة امل وفقدان اهبة . جادلك ابراهيم انه عول على غير معول واصل في غير مؤمل ثم تتابعت اجتماعاتنا لتدبر الموقف وايجاد مخرج منه . وكانت عمان تقيم له الولائم والحفلات واقام له حزب الاستقلال العربي الذي هو من اركانه مأدبة شاي كبرى يوم ٥ اغسطس تكريما لجهاده . خطبت فيها مرحبا به باسم الحزب بصفتي امينه العام ثم خطب الدكتور عادل ارسلان فشرح قضية البلاد والموقف الراهن شرح خطيب متمكن من موضوعه .

ولكانت الحماسة الوطنية استفاضت اثر وصول ابراهيم فلم يرقه هذا الحال الذي لتفه ريثما يتم تنفيذ مخطط الرامي الى السكون والهوادة فضاعف دبيب توسيع الفرقة بين الوطنية والمتفرج بل اوجع صنانو موقفا من المقام العالي بحظ من الكراهية موزعة على اخوانه بالسواء . وتواطأ الامير فلم يعد يكفل به وتناسى مستلزمات الضيافة نحوه ولعل هذا من البواعث التي حملت صنانو على ان يتعجل رحيله الى القدس وكنا نعمل على منعه من عشية فلسطين ، حذر القبض عليه فطلب من السلطة الفرنسية بسوريا . وقد عقدنا معه جلسة في غرفة رشدي الصفدي انتهت الى منتصف الليل وقد حضرها رشيد طليع وعادل ارسلان وشيخ العظمة وعوني عبد الهادي وسامي الشراع وجميل المدفعي واحمد مريود وعوني القضماني وفؤاد سليم وخالد الحكيم وكان القصد تجنيب ابراهيم خطر النزول الى القدس والتماس الوسيلة لعودته الى الشمال ليستأنف الحالة الثورية تكنه اصر على زيارة تخص كبير قيم تحيفا وكان ردنا من ان يتخذه واسطة لامداده بالسلاح . فلم يسعنا سوى ان نتنزل على ارادته شرط الاقيم بفلسطين اكثر من ثلاث ليال تحد لكونه كافية لانهاء اجابات الجبهة عليه اذا ما طالبت السلطة الفرنسية بذلك . وعرف الامير اعتزام ابراهيم السفر فاستراح الى ذلك وامر بوضع سيارة خاصة تحت تصرفه فسافر اصيل يوم ١٤ اغسطس لسنة ١٩٢١ وقد صحبه رشيد طليع وكاتب هذه السطور . وعند منحدر الشونة التقينا بسيارة مقبلة من القدس تقل الاخوين رياض الصلح وصبحي التميمي وبعد ان كانا يتبادلان التحية بعد بحث ... مع ابراهيم ... بالعودة الى عمان علمنا انه تسبب ما حاول . واختبروا الركاب فرنا معرين ... الصلح والتميمي مشيعيه . وقد قضينا ليلتنا في اريحا ليسود الجو من الحر الخانق . وفي الغداة بلغنا القدس فاستقبلنا اخواننا هناك للسلام على ابراهيم مجاهد سوريا الاكبر حينذاك وقد حاولنا رشيد طليع وانا العود بابراهيم الى عمان الا انه اصر على السفر الى حيفا لمقابلة زعيم البكر السياسي الذي كان يعلق على مفاوضته اهمية كبيرة فعدنا نحن الاثنين الى عمان على ان يلحقنا ابراهيم بعد يومين . وقد كان ما توقعناه فقد اطال ابراهيم مكثه في القدس محفوفا بتكريم رجال الوطنية واقطاب

محمد علي الزراع

فلسطين في رحد من العدو الفرنسي ومخابرات متوالية مع حكومة فلسطين للتجهيز على ابراهيم وتسليمه للسلطة الفرنسية بوصف انه مجرد عادي اوقع مذابح في شمالي سوريا .

وكنا في عمان نترقب عودته في مزيد من التلهف عليه فاذا ببرقية يتلقاها كاتب هذه المذكرات موقعة بامضاء الاستاذ اسعاف النشاشيبي بالنص التالي « ابراهيم بين موقوف اعرضوا الامر لسيدنا الامير ومنتظر »

هذه الحقيقة بمثابة باسرها لهذا النبأ فثار الشعب متظاهرا محتجا ، وهاجم الكولونيل بيك الانكليزي قائد الفيلق السيار محاولا استرضاءه في مقابل فك ابراهيم وسلامته من عمانه حتى كادت ارض الحكومة تهتز من تحته ويسود الاضطراب انحاء البلاد . وقد اشتد غضب الشعب لان احدا من اخوانه الاستقلاليين من القواد العسكريين حال دون نجدة القائد الانكليزي . وكانت الجموع ادركت بفطرتها السليمة ان استرضاءه اجدى وسيلة لحمل حكومة القدس على اطلاق سبيل ابراهيم ولكن صاحبنا قد فاته صواب هذا الرأي السليم فانتقد الكولونيل من ايدي الشعب الذي احاط به . وليغفر الله خطأ هذا الاخ وليرطب جدثه الان على ربوة من وادي الحجر

فقد انقضت ساعات الجهاد الوطني بعد ذلك ما خلا القلوب تقول لشجاعته واقدامه

اما الحقل العالي فقد نشط لتهدئة الشعب تقطع معسول الوعود بالاطلاق سراح ابراهيم في اقرب وقت وانه طلب الامارة ما اراد من هدوء الشعب على اثر الطلاق ابراهيم من مخبئه تحقيق لوعدا في البلاد . ولم تمض ساعات من نهار حتى الصقت « تهمة » اثارة الشعب بالشيخ الخطيب والسيد الزراع وقد صدرت الاوامر العليا تقصده باعتقالهما لولا وساطة مظهر رسلان رئيس الوزراء وعادل ارسلان رئيس الديوان العالي . وقد عدل الانجليز عن ضغط الامارة باعتقال الاخرين مخافة احتدام الغضب العام واكتفى الانجليز بما وجهوا اليه الامير من تهدئة وتحذير مقيدين عن التدخل المباشر عن طريقه واستعمال قوة الدرك السيار . ولا شك ان الحقل العالي استراح الى اعتقال هنانو اذ انقذ عمانه من عنصر وطني شديد الحماسة هذا للوطنية وقد نفخ وجوده في عمان روحا جديدة . اما سعي الامير لفك عقال ابراهيم فقد اقتصر على برقية جاف بعث بها الى حكومة القدس تتضمن ما احدث القبض عليه من هياج الخواطر في الاردن مع طلب العناية بالامر...

وقد اصبح الحقل الاميري نشطا غاية النشاط في تبديد مثيرات الحماسة للبطل السجين وهل كانت وظيفة الحقل الاميري الاصلية سوى هذه الوظيفة النظيفة ... وهل اقيم حاكما على الاردن الا على هذه المهنة والبلاد مغلقة بالسلاح والسلطان اصل حران على القتال ؟

ولكن نشك في ان الامير بعث برقية بالفعل الى حكومة فلسطين بشأن ابراهيم لولا رسالة قصيرة وصلت الي من الاخ الامير عادل ارسلان تثبت صحة ارسال البرقية وقد ساعدت على ارضها الى ابلاغها اخوانها في القدس ليستانفوا الضغط على حكومتها حتى اذا ابت اطلاقه سراح البطل كان بين شعبه جبال المعلى ، وما حاله الا اعلانه الغضب العام ! لكن هذا كله لم يثن حكومة فلسطين عن مفارقة ابشع ضرب من ضروب الغدر بتسليم لاجئ سياسي عظيم كابراهيم هنانو الى عدوه الظالم فريقت عمان بأسرها لنبأ تسليمه وقد عرف الشعب ان اميره لم يكن جادا في سعيه فشعرت نفسه بمقته بسببه له ضياع بقية نفوذه حتى في قبائل الاردن التي لم يكن الوعي السياسي قد درج اليها . وبذلك اصبح شعب الاردن قليل الرجاء باميره منذ غدا العدو يمضي فتكا بأسيره

محمد علي الزراع

عود الى الجواد :

احسب ان القارئ يوشك ان يسألني في معرض الحديث عن ابراهيم هنانو : هل اوثقه الامير بفضل او اجرى عليه نعمة وهل نال الزعيم من الامير ما يرى كريم من كريم ؟ واجيب فأقول : لقد كان الامير ازاء الزعيم كحجم هواء ليس يحلو ويلامس . فقد جاء الزعيم هنانو عمان خالي الوطاب وغادرها اخلى وطابا . حاله سيدنا عثمان لم يسعفه بفضل من مال يرون عسرته او يمون حركته . علما انه افاض عليه من مبذول بشره وايناسه وموصول هشاشته وبشاشته ما لا يرون عسرة او يمون حركة . في حين ألحّ الاصطبل الاميري العامر بافاخر الجياد يتطلع الى ضم حصان ابراهيم الى مجموعته ضم النعجة الواحدة الى التسع والتسعين نعجة ... ولعل هذا الامر قد تلاوح لعيني ابراهيم قبل رحيله عن عمان فاسره في نفسه . فلما التقى في غيابه بسجن حلب واعوزه المال للدفاع امام المحكمة العسكرية ساورته فكرة تقديم حصانه هدية للامير لعل الهبة تقابلها هبة هو احوج اليها في محنته . وقد اطلعني في احدى رسائله على فكرته فكتبت اليه قائلا : لقد استشرت حصاني الجيجان في الامر فرفض التخلي عن ضيفه الكريم المنافس له ، وابى ان يدخل هذا الحصان المجاهد المجالد في زمرة الجياد التي لي المترفين ، واني لم استطع رده عن الزجرة والصهيل الا بعد ان همست في اذنه باني لن اسلم قياده لغير ضيفه العزيز الا الى ابراهيم او الى وافد من قبله . وقد اجابني ابراهيم بقوله : لم يكن قصدي من اشعاري السابق بترك الجواد عند " من تعلمون " الا علمي بان اسبابه المعاشية ووسائل راحته هناك اوفر وما كنت اقصد بيعه " وبعدئذ سلم الجواد من الحركات الاصطبل الاميري فبقي عندي اشهرا ابالغ خلالها في اكرامه ويبالغ " من تعلمون " في الحرص على اقتنائه . حتى جاء هزاع رسول ابراهيم فسلمته مقوده وسافر به برا الى حلب حيث استقبله ابراهيم بدموع الفرح

ولعل طرافة هذه القصة تزحزح عن صدر القارئ كثيرا من الشجون . ولعل في مكنة علماء النفس ان يضعوا فيها فصولا جديدة عن تكييف العلاقات والعقول . وارجو القارئ الا تساوره شبهة في صحة هذه القصة التي ظلت لصق ذاكرتي خمسة وثلاثين سنة ، ومازال احتفظ من رسائل ابراهيم بما يؤيد روايتها . وحاش لله ان اتجنى في سرد الحوادث وانا في مقام المؤرخ الامين . واني لاشعر بالرضى اذ افرد لاخينا الكبير ابراهيم هنانو فصلية كاملة وفاء لبعض حقه وابانة عما لقي " من تعلمون " . قصة ما لم اتخطى ، بل اني لواثق من ان القارئ لن يؤاخذني على الاطناب في هذا الباب على اعمال النقط الهامة في حياة ابراهيم الخالد ، انجح واحكم زعماء فترته

طارق سياسي هام :

واعود من هوامش الحوادث الى الحوادث نفسها . الى حيث الامير عبدالله ما ينفك يتلقى زواره في فصل التروي والاستثناء وفي حكمة التؤدة والتريث مطالبا قومه بالسمع والطاعة . الا انهم ان تقدموا تقدموا او احجموا بالتأخر تأخروا ، على نحو ما جاء في احدى خطبه . ومفهوم بالطبع ان النبذة الاخيرة هي القصد والمراد من جميع العباد ...

وحدث في ذات الحين طارق هام فسح للبيت الهاشمي ان يلعب في السياسة العربية دورا جديدا . فقد رحل الملك فيصل من بلدة كومو في ايطاليا الى العاصمة الانكليزية بعد ان كانت الابواب مغلقة في وجهه . فتوج بالسفر الى الراحة اذ كانت الثورة مندلعة وقد فتك العراقيون بـ ٢٢ الف جندي بريطاني باعتراف الانكليز الرسمية او ٧٠ الف جندي على رواية المصادر الاخرى . وقد جاء فيصل الى القاهرة وغادرها يوم ٢١ ابريل ٩٢١ الى الحجاز ليطلع والده

محمد علي الزاج

على الشطوط الجديد. ثم ذهب الى العراق لاتمام الحركة التي نيطت به، واقامة عرش هاشمي في عاصمة الرشيد على اساس حكم ديموقراطي يرضي الشعب الثائر ويهدئ ثورته الوطنية فينتقل العراق من حالة خصام الى حالة سلام. ولا بد هنا ان اقيد ان فيصلا لم يلق في مصر حفاوة كالتي كان يلقاها في السنوات الماضية. وكذا اتفق ان اقيمت بفندق شبرد الذي نزله جلالته مأدبة للزعيم الخالد سعد زغلول يلقي فيها خطبة سياسية في تفنيد حجة على حجة المغفور له عدلي يكن باشا فاكتظت ردهات الفندق وابهاؤه بجمعية المصريين الوفديين المؤتلفة. وكنت ونفرا من اخوانه وقتئذ بين الجموع فسمعنا تمتمة فهمنا منها انهم سيوجهون الى الملك فيصل كلمات قارصة اثناء نزوله من جناحه الى خارجها فنقلت الخبر الى الامير زيد شقيق فيصل ونقله هو الى اخيه الذي اخطر المرافقين. الفندق من بابه الخلفي تفاديا من سماع ما يؤذي سمعه. وكانت حجة الناقمين المصريين ان فيصلا يحمل مهمة من لندره فوائدها لانجلترة عدو مصر. كما انه تخلى عن السوريين الذين اخلصوا لمليكهم المختار واحبوه اذ تخلى عن تاج سوريا لتاج آخر جيء به بالامر الواقع الذي اجراه الاحتلال الفرنسي بالاكراه. ومع هذا ساءنا ان يتعرض له من اخواننا المصريين ما يسوؤه فانقذنا له الجو لمصطحبه وابناء اخيه فتفادى التعرض للكلمة الجارحة وسمعت الكلمة الوديعة من دون القالة وهذا ما قصدنا اليه من تحذيرنا له.

وبلغ نبأ سفر فيصل الامير عبدالله فخفف الامر وثارت حفيظته على شقيقه اذ كان الامير يعد نفسه صاحب عرش العراق بالقرار الذي اتخذه العراقيون بدمشق يوم ٩ مايو ٩٢٠ غداة المناداة بفيصل ملكا على الشام. اذن لقد تخطاه فيصل واعتدى على حقه وهو ما جاء معان الا ليخلص سوريا ويرد تاجها اليه وهنا تحركت موجدة المأمون على الامين فراح الامير عبدالله يسلق اخاه بالسباب ويحصبه بالسباب ويكاد ناسيا انه شقيقه حتى اخذ بعض الوطنيين "الخبثاء" يتظاهرون بالدفاع عن فيصل ايلاما للامير وتكثيرا لجرحه... فلما استفتى العراق عن تتويج فيصل زادت التباريح بالامير وظلمه فيفوه ضد اخيه بكلمات جارحة كقوله مرة في حضورنا في مجلسه "لقد عرفت الان لماذا احل المأمون دم اخيه الامين" ولقد بهتنا اذ سمعنا هذه القولة تنطلق من فم الشقيق في حق شقيقه وكدنا لا نصدقه آذاننا لولا انها قيلت علانية وامام شهود عدول. وقد غدا بعض المداجين يتقربون الى الامير عن طريق تجريح اخيه اما الوطنيون الاحرار فقد غدوا اكثر تعصبا لفيصل ولو جهروا بالقول المأثور "لا كرها بمعاوية بل حبا لعلي..."

ولو فطن الامير عبدالله لادرك ان حركة فيصل بالعراق مهدت له في الاردن، فزالت الاعتراضات على قدوم سموه لعمان اذ تحولت سياسة انجلترة الى كف سنة البيت الهاشمي مرة اخرى وقد رضيت بجلوس حكومة الامير كل حكومات المقاطعات الاردنية الثلاث واتفقت على الاعتراف بسموه رئيسا للحكومة الموحدة فصفقت له عضدها بالبيعة.

يعاد النظر في هذا الفصل

٢٩

كان انتقال الامير من معان الى عمان يوم ٢ مارس من سنة ٩٢١ . وكان شوق الشعب الى لقاء اميره شديدا فاستقبله بحماسة ، واشترك في الاستقبال ممثلو الحكومات المحلية الثلاث والمعتمد البريطاني . ولم اكن يومئذ في الركب اذ عدت الى القاهرة لاطلاع بعض زعماء العرب على حقائق الحركة الحجازية . وقد عقدنا اجتماعا في دار حزب اللامركزية السوري برئاسة الوجيه ميشال لطف الله فافضيت بما تجمع لدي من معلومات عنها مستقاة من اخواننا الذين في معان . ثم قفلت عائدا الى القدس حيث التقيت بالاخ خالد الحكيم فاخذنا سبيلنا معا الى عمان فلما بلغناها حدثونا عن الحفاوة البالغة التي قوبل بها الامير والخطبة التي القاها كرة وكانت مزيجا من حماسة وسياسة لا يكاد سامعها يلمس ناحية من آماله حتى تتفلت منه من ناحية اخرى . وكان في احد مقاطع خطبته يقول : ان فيصلا يجاهد من اجل مجدكم وله في الغرب اصدقاء يسعون الى تحقيق امنيته . وفي مقطع آخر يقول : لو ان لي سبعين نفسا لبذلتها [illegible] في سبيل الامة واعدها بعطفي وما عددت ذلك شيئا يذكر . ووقف الناس حيارى حول تعليق الامير آمالهم على سعي فيصل في الغرب ، واستعداد الامير لبذل نفوسه السبعين " وكلا المعنيين مفترق عن الآخر !

الامير وتشرشل :

وحين قدم تشرشل وزير المستعمرات القدس من القاهرة بعد ان قام بها اياما اجتمع فيها بوفد فلسطيني برئاسة المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني . وكانت تحية لهذا الوفد مأدبة في فندق الكونتننتال ارتجل فيها الشاعر الظاهي قصيدة منها :

يرى العرب فرضا رعيها وودّ حفظها ... اذا جد في رد الحقوق تشرشل

وقصيدة ثانية ارتجلها عفو الساعة ومنها :

يلوموننا اذا سهرنا على القذى ... وهم هجعوا البال في الحي مرقد
يريدوننا ان نغضي على حسك القذى ... ولسنا قرى ام لم نكن نتوحد
فمن لم يكن دون المعالي مجاهدا ... فليس له في دونه الرحب مقعد
ومن لم يكن في اهله وبلاده ... على ثقة من صونها كيف يرقد

وصل تشرشل الى القدس في منتصف مارس اثر وصول الامير عبدالله الى عمان بايام قليلة فدعاه الى مقابلته في القدس ولبى الامير الدعوة. وكان عرب فلسطين يستقبلون بعظيم الفرح بقدوم امير هاشمي عربي عساه يخلص مع تشرشل الى اسعادهم باستبعاد خطر وعد بلفور عن فلسطين. فاعدوا لسموه استقبالا منقطع النظير وانتشرت وفودهم في مقاطع الطرقات التي يمر بها موكبه. لكنهم عادوا بالحسرة تملأ نفوسهم حين رأوا سيارة الامير تنطلق غير مكترثة بهم فلم تقف لتحيتهم. وزادت بهم الحسرة وخيبة الامل عندما نزل الامير ثم ينزل ضيفا على الحكومة البريطانية المضطلعة بمهمة تهويد فلسطين. فعدت هذه الظاهرة فالا غير جميل

وقفل الامير عائدا الى عمان بعد ان خلف في نفوس عرب فلسطين جرحا عميقا لم تعالجه مستوعبة في تاريخ سيد الاردن المفضال. وقد علم يومئذ ان مفاوضاته مع تشرشل اثمرت ثمرة قال بعضهم انها مرة المذاق وقال آخرون انها احلى من العسل. ولم تكن مفاوضات بالمعنى المفهوم بل تفاهما غير مكتوب دار حول المواد الاتية :

١ — تنشأ حكومة في شرقي الاردن مستقلة اداريا تحت رياسة سمو الامير عبدالله

٢ — تخضع هذه الحكومة لارشاد مندوب بريطاني يسمى «رئيس المعتمدين البريطانيين»

٣ — تقدم الحكومة البريطانية للحكومة الاردنية مساعدة مادية لاقرار الامن والطمأنينة

٤ — تنشئ بريطانيا لمواصلاتها مطارين احدهما في عمان والثاني في «زيزياء»

٥ — تتكفل حكومة سموه بعدم الاعتداء على المنطقة المجاورة المشمولة «بالانتداب»

٦ — تعد بريطانيا «بالسعي» لتحسين العلاقات بين سموه ودولة الانتداب الفرنسي

وقد اعتبرت هذه النقط اتفاقا من باب التجوز اذ لم يثبت ان سموه حمل صكا مكتوبا او مذكرة مذيلة بتوقيع. وقد تدهش اذ ترى هذه القواعد لا تحوي من مزايا الاتفاقات المعروفة الا مادة واحدة لمصلحة سموه بينما المواد الاخرى كلها لمصلحة بريطانيا التي حرصت على ان تجعل سلطة الامير حامية لمطاراتها ومتكفلة بأمن المنطقة وسلامة حدودها الاجنبية في مقابلة رياسة حكومة تنعقد لسموه تحت وصاية مندوب بريطاني يأمر فيطاع!

حكومة الكرك :

وكانت اول حكومة وطنية قامت في الاردن قد تألفت من رشيد طليع باسم رئيس المشاورين "ريشبن ونلاو" وامين التميمي مشاورا للحقانية اي وزير عدل ومظهر رسلان للداخلية وحسن الحكيم للمالية كما عين عوني عبد الهادي رئيسا للديوان الاميري وخير الدين الزركلي مفتشا عاما للمعارف ونبيه العظمة متصرفا لعجلون وسامي السراج رئيسا لديوان الكرك وخالد الحكيم رئيسا للمهندسين وفؤاد سليم رئيسا لاركان حرب الجيش. وكلهم رئيسي الدولة السابقة. ثم اشغل حكومة الكرك بآخرين من رجال الوطنية نحو الامير عادل ارسلان ونحو عوني عبد الهادي وعين جميل المدفعي متصرفا لمقاطعة الكرك و رشدي الصفدي مديرا للامن العام والدكتور الفناني احمد مريود قائدا للعشائر .

هذا وقد يتساءل القارئ لم اشترك هؤلاء الوطنيون المخلصون في مناصب امارة وضحت غاياتها وعرفت حقيقتها واختلفت مسالكها عن المقاصد التي هاجروا الى المنطقة من اجل تحقيقها . افلم يكن اخلق بهم رفض هذه المناصب في الدولة الناشئة التي تبدت اغراضها متباينة مع اغراض مقاصدهم ثم يطالعوا الامير ببيان يكشف لها وجه الحقيقة ويدلها على مواطن العوج والالتواء ؟

واجيب فاقول : كان هذا اول ما اتجه اليه هؤلاء . وقد عقدوا لبحث موقفهم اجتماعات عدة فكاد اجماعهم ينعقد على انسحابهم جميعا لولا ان تقدم المغفور له رشيد طليع برأي انبعث عن عقل واسع وادراك راجح . وكان محور رأيه ما سنسرده في فصل قادم

القاهرة .. سنة ..